دَوْرُ التَّسامُحِ في تَرْسِيخِ الوِحْدَةِ الإِجْتِماعِيَّةِ مِنْ خِلالِ القُرآنِ الكَرِيمِ

د. عبد الزهرة جاسم الخفاجي م.م. عصام فخري برتو

الكلية الاسلامية - النجف الاشرف

فحوى البحث

اصل عنوان البحث: [دور التآلف والتسامح واللاعنف في ترسيخ الانتماء والتماسك الاجتماعي من خلال القرآن الكريم] وقد رأينا ان هذا العنوان لا يفي بتغطيته بحث قصير، قمنا بصياغته كما هو مدون في اعلاه.

يتناول البحث اهم الرؤى التي تطرح حول موضوعة السلم والتسامح واللاعنف والانتماء، لما تمثله هذه الافكار من مرجعية مهمة للمجتمع الاسلامي والذي ستظل به حاجة ملحة لمثل هذه النظريات والتي وفى القرآن الكريم الحديث عنها جميعاً.

وقد قسم البحث على مقدمة ومباحث وخاتمة ضمت خلاصة البحث ثم اهم التوصيات التي خاطب بها السيدان الباحثان المجتمع الاسلامي.

المقدمة:

ان التحدث عن التسامح والنقد اللاذع ضد العنف يشمل مختلف جوانب الحياة، ابتداءً من علاقة المرء بذاته، وبأفراد أسرته، ومحيطه الاجتماعي، وكذا علاقته بالدولة والنظام الحاكم فيها، وانتهاءً بعلاقته بالآخر، أياً يكن هذا الآخر، لذا يجب رفض العنف بكل أشكاله، واعتبار اللاعنف نظرية متكاملة، ومنهج سلوك متواصل، وخياراً حضارياً ينبغي أن نوفر عوامل نجاحه الذاتية والموضوعية، وإذا أردنا أن نصل مع الآخرين إلى الحل الصحيح، والاجتماع على رأي صائب، لكي نحصل على النتيجة المطلوبة، يجب علينا أن نسلك طريقاً بعيداً عن العنف، ونتبع أسلوب التفاهم بالحكمة والموعظة الحسنة والهدوء في معاملتنا مع الآخرين، حينئذ نصل موفقين إن شاء الله تعالى إلى الغاية والهدف.

أما الانتماء بمفهومه البسيط يعني الارتباط والانسجام والإيمان مع المنتمى إليه وبه، وعندما يفتقد الانتماء فهذا يعني أن به خللاً ومع هذا الخلل تسقط صفة الانتماء.

بما ان القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد وموعظة، فقد أراد للإنسان العيش الكريم، والحياة الهانئة المطمئنة، وحثه كذلك على السمو والارتقاء، وجعله يعيش حياة خالية من النكد، وان يسير بما ينسجم وخلقه، حيث إن الله تعالى فضله على جميع مخلوقاته، إذ جعله سوياً، وأودع فيه عقلاً هو بمنزلة الميزان الذي يزن به جميع الأشياء، ويميز الحق من الباطل، والصحيح من الخطأ، والعدل من الظلم، لذلك أمر الإنسان ذا العقل، بأن صاحب العقل، هو من يعي الكلام ويفهم سر الخطاب، وطلب منه أن يتخذ العقل معياراً، بما أن العقل ينصاع للحق ويخضع للكمال، فقد مال إلى النهج الصحيح والطريق السوي، ولا يتحقق ذلك إلا بتمسك الإنسان بالخلق الرفيع، ونبذ كل ما هو بعيد عن الطبيعة الإنسانية كالعنف والاحتراب، وإشاعة ثقافة الموت، وهدر كرامة الإنسان حيث يفضي إلى انقراضه وإنهاء

وجوده، وهذا مخالف لإرادة الله سبحانه وتعالى.

القرآن الكريم فيه مطالب كثيرة، وفلسفات متنوعة، وقضايا متعددة، وأمور ظاهرة وأخرى باطنه، وكلها تصب في خدمة الإنسان وتسير بمصلحته، والمطلوب من الإنسان أن يفكر ويتأمل، ويبحث وينقب، ومن جملة ما طرح القرآن الكريم التسامح ونبذ العنف الذي يعني التجاوز والابتعاد عن كافة أشكال العنف وقتل النفس تحت أي ذريعة، إذ أن القتل من اكبر الكبائر، وان قاتل النفس المحترمة لا يشم رائحة الجنة، فضلاً عن انه سيلاقي العقاب والعذاب من قبل مليك مقتدر يوم الجزاء.

وحاولنا تسليط الضوء على موضوع التسامح والانتماء، ونبذ الاحتراب والاقتتال، وزرع الفتنة بين صفوف المسلمين لغرض تهشيم وتمزيق صفوفهم وفك أواصرهم، وهو ما شاهدناه ونشاهده يومياً على مسرح الحياة، على يد أناس يدّعون الانتماء إلى الإسلام، وهم حقيقة لا تربطهم أي صلة بمبادئ الإسلام ونهجه القويم، وما قولهم إلا زور وبهتان وباطل ما كانوا يدّعون، وأيضاً قد وردت أحاديث كثيرة عن سيد المرسلين ﷺ بأن التفكر والتأمل والتسامح ونبذ العنف أفضل من العبادة، حيث إن المسلم من سلم الناس من يده ولسانه، كما ورد في الحديث الشريف.

المبحث الأول:

معنى التآلف والتسامح واللاعنف والانتماء في اللغة والاصطلاح.

أولاً: معنى التآلف: هو المداراة والاستيناس[1]، ومألفة أي محلاً لألفتهم يألفون به، وآنست به وأحببته[2].

(١) ابن الأثير: أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ت (٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث، ط٤، تح: طاهر احمد الغراوي ومحمود محمد الطناحي، مؤسسة اسماعليان، قم، ١٣٦٤ه، ١/ ٦٠؛ ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، ت (٧١١هـ) لسان العرب، مطبعة أدب الحوزة، قم، ١٤٠٥هـ، ٩/ ١١.

(٢) ألمجلسي، محمد باقر، ت (١١١١هـ)، بحار الأنوار، ط٢، تح: إبراهيم الميناحي ومحمد باقر، دار إحياء التراث العربي،

وكلمة (التآلف) وردت في القرآن الكريم، إذ قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[سورة آل عمران، : ١٠٢]، هذا وان الله عز وجل يؤلف بهم بين قلوبهم عبادة بعد عداوة الفتنة كما ألف بين قلوبهم بعد عداوة الشرك[٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [سورة الأنفال: ٦٣]، والمؤلفة قلوبهم: استمالة قلوبهم بالإحسان والمودة، وقوله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ ﴾ [سورة التوبة: ٦٠].

ثانياً: التسامح لغةً: يرجع اصل اشتقاق كلمة التسامح إلى الجذر(سمح)، وهو الملاينة والموافقة على ما أُريد منهُ[٤]، رجل سمح، ورجال سمحاء، وقد سمح سماحة وجاد بما لهُ[٥]، والمسامحة المساهلة، وتسامحوا: تساهلوا[٦].

يتضح مما سبق، ان التسامح يستخدم للدلالة على الجود والكرم والعطاء واللين والتساهل والموافقة على الطلب، وهذه المعاني في حقيقتها تعبر عن الأخلاق الإنسانية الرفيعة.

أما التسامح اصطلاحاً: هي كلمة تستخدم في الإشارة إلى الممارسات جماعية كانت أم فردية والتي تقتضي نبذ التعصب والتطرف، إذ هو نوع من أنواع الإحسان إلى النفوس التي جُبلت على حب من أحسن إليها، لذا فإن التسامح يؤدي إلى المحبة والتآلف ونبذ

بيروت، ١١٩٨٣م، ٦٤/ ٢٩٨.

(٣) القاضي النعمان، أبي حنيفة بن محمد، ت (٣٦٣هـ)، شرح الأخبار، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ب. ت، ٣/ ٣٨٤.

(٤) قلعجي، محمد، معجم لغة الفقهاء، ط٢، دارالنفائس، بيروت، ١٩٨٨م، ص٢٤٩.

(٥) الفراهيدي، أبي القاسم الهروي، ت (٢٢٤هـ)، العين، ط١، تح: محمد عبد المعيد، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٨٤هـ، ٣/ ٤٨.

(٦) الجوهري، الصحاح، ١/ ٣٧٦؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٣/ ٩٩؛ ابن منظور، لسان العرب، ٢/ ٤٨٩؛ الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ١/ ٢٢٩.

العنف والتناحر، فهو الروح التي تخلو من العنف والتطرف[٧].

يمكن القول: في ضوء مما تقدم إن التسامح هو الموقف من الآخر سواء كان بالفكر أو بالرأي، ذلك الفكر الذي ينم عن سعة صدر واستعداد لفهم وتفهم الآخرين سواء كانوا أجانب مختلفين في الأصل أو الجنس أو الدين او اللغة، أو كانوا من أبناء الوطن، ولكنهم يختلفون في الرأي والفكر والمصالح.

ثالثاً: اللاعنف: العنف: ضد الرفق، عنف يعنف عنفاً فهو عنيف، ووجدت لهُ عليك عنفاً ومشقة[٨]، والتعنيف: التعيير واللوم[٩]، واللاعنف: بمعنى الرفق، والرفق خلاف العنف، يقال: رفقت أرفق[١٠]، وفي الحديث الشريف قال الرسول ﷺ: ((إن الله جل ثناؤه يحب الرفق في الأمر كله))[١١]، هذا هو الأصل ثم يشتق منهُ كل شيء يدعوا إلى راحة وموافقة.

قال ابن منظور[١٢]: ((العنف الخرق بالأمر وقلة الرفق به، وهو ضد الرفق... وهو عنيف إذا لم يكن رفيقاً في أمره)).

وبما ان معنى اللاعنف هو بمعنى الرفق، ففي ذلك قال الإمام الكاظم عليه السلام: ((الرفق نصف العيش))[١٣]، والرفق:

(٧) ابن بشير، حكمت، سماحة الإسلام في التعامل مع غير المسلمين، دار الفكر، بيروت، ب. ت، ص١.
(٨) الفراهيدي، العين، ٢/ ١٥٧.
(٩) الجوهري، الصحاح، ٤/ ١٤٠٧.
(١٠) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٢/ ٤١٨.
(١١) ابن قدامة، عبد الرحمن، ت(٦٨٢ه)، الشرح الكبير، د. ط، دار الكتاب العربي، بيروت، ب. ت، ٢/ ٣٢٣؛ ابن حزم، محمد بن علي بن احمد، ت(٤٥٦هـ)، المحلى، ط١، دار الفكر، بيروت، ب. ت، ١١/ ٤١٦؛ ابن حنبل، احمد، (ت ٢٤١هـ)، مسند احمد، د. ط، دار صادر، بيروت، ب. ت، ٦/ ٣٧؛ البخاري، محمد بن إسماعيل، ت(٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م، ٧/ ٨٠.
(١٢) ابن منظور، لسان العرب، ٩/ ٢٥٧.
(١٣) الكليني، محمد بن يعقوب، ت (٣٢٩هـ)، الكافي، ط٤، تح: علي اكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٥هـ، ٢/ ١٢٠؛ القاضي النعمان،

لين الجانب والاصفاح عن الزلل وان لايكلف احد فوق طاقته[١٤].

رابعاً: الانتماء: في اللغة: نمى، أي انتمى الرجل إلى قومه[١٥]، أي ارتباط الفرد بجماعة.

أما الانتماء اصطلاحاً: هو النزعة التي تدفع الفرد للدخول في إطار اجتماعي فكري معين بما يقتضيه هذا من التزام بمعايير وقواعد هذا الإطار وبنصرته والدفاع عنه[١٦].

والانتماء كمفهوم ينتمي إلى المفاهيم النفسية الاجتماعية ويعني الاقتراب والاستمتاع بالتعاون أو التبادل مع آخر وفي الحقيقة أن دافع الانتماء إذا توافر لدى الفرد وتحفز يبلغ من القوة أنه يستطيع أن يعدل كثيراً من سلوك الفرد حتى يصبح سلوكه مطابقاً لما يرتضيه مجتمعه. فعندما ينضم الفرد إلى الجماعة يجد نفسه، في كثير من الأحيان، مضطراً إلى التضحية بكثير من مطالبه الخاصة ورغباته قي سبيل الحصول على القبول الاجتماعي من أفراد الجماعة وتجده يساير معايير الجماعة وقوانينها وتقاليدها فيتوحد الفرد مع الجماعة فيرى الجماعة وكأنها امتداد لنفسه يسعى من أجل مصلحتها ويبذل كل جهد من أجل إعلاء مكانتها ويشعر بالفوز إذا فازت أو بالأمن كلما أصبحت آمنة. والانتماء الوطني يعتبر من أوضح نماذج التوحد مع المجتمع حيث يلاحظ تأثير شخصية الأمة على شخصية الفرد وتطابق شخصيته مع النمط الثقافي السائد. أما إذا لم يتوفر دافع الانتماء، فسوف يصبح الفرد في حالة حياد عاطفي بالنسبة للآخرين أو المجتمع ومعنى ذلك إما أن ينحصر اهتمامه في ذاته أو يصبح في حالة ركود

دعائم الإسلام، ط٢، تح: علي اصغر فيضي، دار المعارف، القاهرة، ب. ت، ٢٢/ ٢٥٤.

(١٤) ألطريحي، مجمع البحرين، ٢/ ٢٠٧.

(١٥) الطبري، الفضل بن الحسن، ت (٥٤٨هـ)، إعلام الورى بأعلام الهدى، ط١، مطبعة ستارة، قم، ١٤١٧هـ، ١/ ١٨٠؛ ألمجلسي، بحار الأنوار، ٢٠/ ٩٦.

(١٦) حلي، علي عبد الرزاق، دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية، ط٢، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٤م، ص٢٣٩.

وعدم نشاط لعدم توفر الدافع على أداء فعل معين[١٧].

المبحث الثاني:
تأصيل السلم واللاعنف في المجتمع من خلال الانتماء:

إن استخدام إستراتيجية اللاعنف اليدوي ضرورة محتمة بالنسبة إلى من لا قوة له، وكذا من له قوة، فبغير هذا النهج قد لا تنجح الدعوة، ولم يكتب النجاح لدعوات الأنبياء والمصلحين، لولا استخدامهم هذا الطريق الذي هو خيار لكل مصلح عظيم، وصاحب مبدأ رشيد، فما تقول في نبي الإسلام محمدﷺ؟. هل كان يردُّ على الاذى في مكة؟. إن التاريخ يشهد بأنه كان يتجرع الاعتداءات اليدوية بكل رحابة صدر، فحين كان أبو لهب يضربه بالحجارة، وأم جميل تلقي في طريقه الأشواك، وكافر آخر يفرغ على رأسه الكريم سلى الشاة، وهو في الصلاة، ومشرك يبصق في وجهه الطاهر، وزائغ يلقي القذارة في طعامه، ومولى أبي جهل يشج رأسه بقوس، فرماه ابن قميئه بقذافه فأصاب كفه، ورماه عبد الله بن شهاب بقلاعه فأصاب مرفقه، وضربه عتبة بن أبي وقاص على وجهه فشج رأسه فنزل من فرسه ونهبه ابن قميئه[١٨]، وكان يقولﷺ: ((اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون))[١٩]، وهكذا كان نوح ولوط وإبراهيم وإسماعيلعليهم السلام، واللاعنف اليدوي سلاح يجلب إلى الداعي النفوس، ويؤلب على أعدائه الناس، ولذا يحكى عن غاندي محرر الهند قوله: تعلمت من الحسينعليه السلام كيف أكون مظلوماً فأنتصر. وما أحوجنا -نحن- لتعلم هذا الدرس؟.

(١٧) سنو، غسان منير، القيم والمجتمع، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م، ص٣٠.

(١٨) ابن عساكر، علي بن القاسم بن هبة الله، ت (٥٧١هـ)، تاريخ مدينة دمشق، د. ط، تح: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ه، ٦٢/ ٢٤٨؛ ابن شهرآشوب، أبي عبد الله محمد بن علي، ت (٥٨٨هـ)، مناقب آل أبي طالب، د. ط، المكتبة الحيدرية، النجف الاشرف، ١٩٥٦م، ١/ ١٦٦.

(١٩) الراوندي، قطب الدين، ت (٥٧٣هـ)، الخرائج والجرائح، ط١، المطبعة العلمية، قم، ١٤٠٩هـ، ١/ ١٦٤.

وقد يخلط أناس بين الآيتين في قوله تعالى: ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة البقرة: ١٩٤]، وقوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٩٩]، مع أن لكل منهما مجالاً غير مجال الآخر، فيقول: كيف يمكن أن يؤمر الإنسان بعدم رد الاعتداء، فإن ذلك مما يسبب غلواء المعتدين، أو فسادهم أكثر فأكثر، لكن لكل شيء مجال، فالدعوة تحتاج إلى قدر كبير من السلم، وبالأخص إذا قاومتها قوى هائلة، بينما لا تملك الدعوة شيئاً إلا الحق، فالإعراض هو الترك والإهمال، وعدم الدخول في جدال يضيع معهُ الوقت والجهد دون أن يحقق شيئاً في طريق الواجب.

والشعور بالانتماء من أهم دعائم نشر التسامح في المجتمع، والذي يحافظ على استقراره ونموه وهو يشير إلى مدى شعور أفراد المجتمع بالانتماء إلى مجتمعهم، ويمكن أن نستدل على ذلك من خلال المشاركة الإيجابية في أنشطة المجتمع، الدفاع عن مصالح المجتمع، الشعور بالفخر والاعتزاز بالانتماء للمجتمع، المحافظة على ممتلكات المجتمع، وكل هذه السمات يمكن أن تقاس ويستدل عليها بالمجتمع، فأساس الانتماء هو مشاركة سكان المجتمع وحث الآخرين على التعاون معهم لمواجهة المشكلات ووضع البرامج المناسبة لمواجهتها.

يعد مفهوم الانتماء الاجتماعي واحداً من أهم المفاهيم المركزية التي تحدد طبيعة علاقة الفرد بالجماعة في كل زمان ومكان وإفشاء السلم والتسامح، يقابله على الضد تماماً مفهوم الاغتراب الذي يعني الابتعاد النفسي للفرد عن ذاته وعن جماعته وإثارة الحقد والضغينة، وسواء ابتعد الفرد عن جماعته أو غادرها إلى جماعة أخرى، فهو في كلتا الحالتين إنما يفقد انتماءه لجماعته من جانب ويواجه برفض الجماعة الأخرى له من جانب

آخر لاختلاف عاداته وقيمه ونمط شخصيته وخبراته مما يسبب غربته من ناحية، وعدم انتمائه لمجتمعه من ناحية أخرى، وهناك حقيقة واضحة أن البشر كائنات اجتماعية، مخلوقات تتجمع سوياً ويعتمد كل منها على الآخر جسمياً أو نفسياً عبر الحياة، فالعلاقات الوثيقة مع الآخرين وتبادل المحبة والوئام تبدو من الضروريات، وهي أمور تتكامل مع بقاء الإنسان ورفاهيته فالبشر قادرون على تقديم كل منهم للآخر أعظم مسرات الحياة وأفراحها وكذلك أحزانها العميقة، كما يمكنهم إعطاء نوع من التعاطف والتأكيد والحماية من الأخطار وبالتالي فان حاجة الفرد للآخرين تكمن في مساعدته وانتماءه على حل مشاكله وإرضاء حاجاته التي لا يستطيع حلها وإرضاءها بمجهوده الخاص، فيشعره بالأمن ويزيدوا من احترامه لنفسه.

وتبرز أهمية الانتماء على المستوى الاجتماعي؛ فهو العماد الفقري للجماعة وتماسكها، وبدونه تفقد الجماعة تماسكها وتماسك الجماعة فهو انجذاب الأعضاء لها والذي يتوقف على مدى تحقيق الجماعة لحاجات أفرادها فما دامت الجماعة تحقق حاجات الفرد فيمكنها أن تؤثر في أفكاره وسلوكه عن طريق تلك الفوائد التي يحصل عليها من وراء انتمائه لها[٢٠].

وقد وردت آيات وروايات كثيرة في العفو ونبذ العنف منها:

١. قال تعالى: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[سورة آل عمران: ١٣٤].

٢. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة المائدة: ١٣].

٣. قال تعالى: ﴿ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾[سورة الحجر: ٨٥].

٤. قال تعالى ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ

(٢٠) الشناوي، محمد، التنشئة الاجتماعية للطفل، ط٢، دار صفاء، القاهرة، ٢٠٠١م، ص٥٣.

﴿ٱلسَّيِّئَةَۚ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾[سورة المؤمنون: ٩٦].

٥. قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾ [سورة المزمل: ١٠].

لذا نرى نبي الإسلام العظيم ﷺ كان يصبّر بلالاً وخباباً، وسمية وعماراً، وغيرهم.. ممن ترد عليهم الصدمات المرهقة من الكفار، ليس ذلك لأن رد الاعتداء غير صحيح، بل ذلك لأن رد الاعتداء لصاحب الدعوة، ينقض الغرض، ولذا حين قبض الإسلام على السيف، وضع حداً للفوضى والاعتداءات الوحشية، وإن تذرع بالعفو في كثير من الأحيان حين لم يكن ضاراً، فمن شرائط المصلح الإسلامي في هذا العصر، إذا أراد نجاح قصة الإسلام أن يتذرع باللاعنف الجسدي، فلا يضرب بيد، ولا يرفس برجل، ولا يتناول بالأسنان، لمن قابل دعوته، واستعمل الشدة تلقاءه، أما السيف وآلة النار فهما كفيلان بالاخفاق قطعاً.

وعندما يدعو الانسان المسلم لسلوك طريق السلم واللاعنف، يداً ولساناً وقلباً، فإنه يستند لجملة من الأسس التي بلور من خلالها نظريته هذه، وأهم مرتكزاته في ذلك، تتمثل فيما يلي:

١. القرآن الكريم: ففيه العديد من الآيات البيِّنات، وهي الآيات التي تحث الإنسان على اجتراح هذه الطريق الشائكة، ولا نزال نرى في القرآن الحكيم خير دعوة علمية وعملية إلى اللاعنف والسلم.

وهنا أسجل بعضاً من هذه الآيات ليتدبرها القارئ:-

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [سورة النحل: ١٢٥].

وقال عز وجل: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [سورة الفرقان: ٦٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[سورة العنكبوت: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾[سورة الأعراف: ١٩٩].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ﴾[سورة الأنعام: ١٠٨].

وقال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ ﴾[سورة آل عمران: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾[سورة النور: ٢٢]، إلى غيرها وغيرها من آيات الذكر الحكيم.

٢. سيرة الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، فهم (صلوات الله عليهم) كانوا أبرز تجلٍّ ومصداق لسلوك منهجية (السلم واللاعنف) في الأمة، ويُعد الرسول الأكرم ﷺ قائد الحركة السلمية اللاعنفية الأولى في تاريخ العالم، لأنه ولأول مرة في التاريخ، وبعد فترة من الرسل ظهرت هذه الحركة السلمية الشاملة، والإلهية المباركة، بقيادة الرسول الأعظم محمد بن عبد الله ﷺ، وذلك بهذا الشكل الذي لا يزال يتفاعل في النفوس، ويترك أثره الطيب في العالم حتى اليوم.

ولم تنطلق نظرية السلم واللاعنف من الفراغ، ولم تنشأ من استنساخ تجارب الآخرين من غير تعقل، إنما ألأصل كان قرآنياً ونبوياً وعقلياً، إذ إن الأصل في الإسلام السلم واللاعنف، إذاً هذه الفكرة ليست أضغاث أحلام، كما قد يتوهم البعض في محاولة منهم لكشط منهج اللاعنف بسهولة، وأنّى لهم ذلك؟. مادام هذا المسلك طريق الأنبياء والأئمة والمصلحين، قال تعالى: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾[سورة الأحزاب: ٦٢].

فالكثير من الناس في حالة الغضب يتناسى هذه المفردة (التسامح) بالرغم من ترديده لها طوال الأوقات الهادئة التي يمر بها، خصوصاً إذا كان في موضع الواعظ، كأن يكون مدرساً في

فصل دراسي، أو خطيباً في مسجد، أو كاتباً في صحيفة... إلخ، فهذه حقيقة موجودة عند الكثير من الناس، فهم يتحدثون عن التسامح ليلاً ليمارسوا العنف صباحاً، يؤمنون بالتسامح نظرياً ويكفرون به عملياً، تراهم يقولون مالا يفعلون، وهذه الحقيقة لمسناها بأنفسنا وأثرت تأثيراً في انتماءاتنا.

قد يتضح لنا من خلال السياق السابق بأن اللاعنف اللساني هو أصعب بكثير من اللاعنف اليدوي، ولذا ترى كثيراً ما لا يستعد الإنسان على أن يضرب أحداً أو يطلق عليه النار، بينما يستعد أن يسلقه بلسان حاد ويهمزه ويلمزه؛ وذلك لأن اللسان لا عواقب له في الدنيا غالباً حتى يخاف الإنسان من شروره إذا أطلقه بالسباب والطعن وما إليهما، بينما اليد لها من العواقب الوخيمة الشيء الكثير، وعلى أي حال فاللاعنف اللساني هو أن يزمّ الإنسان لسانه ويلجم كلامه عن النيل من المعتدي سواء كان معتدياً بيد أو لسان، وهو فضيلة كبرى يلزم على أصحاب الدعوة أن يمارسوها، وفي القرآن الحكيم: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾ [سورة فصلت: ٣٤ -٣٥]، إنه حظ يسميه إله الكون حظاً عظيماً، إذ كيف يقدر إنسان أن يرد السب بالمدح، والقدح بالثناء، والتنقيص بالإطراء، إلا إذا كان صابراً، وإلا إذا كان ذا حظ عظيم.

وفي دعاء الإمام السجاد عليه السلام المعروف بدعاء مكارم الأخلاق: ((اللهم صلِّ على محمد وآل محمد وسددني لأن أعارض من غشني بالنصح، وأجزي من هجرني بالبر، وأثيب من حرمني بالبذل، وأكافئ من قطعني بالصلة، وأخالف من اغتابني إلى حسن الذكر، وأن أشكر الحسنة، وأغضي عن السيئة))[٢١].

(٢١) زين العابدين، الإمام علي بن الحسين، ت (٩٤هـ)، الصحيفة السجادية، ط١، تح: محمد باقر الموحد، مطبعة نمونة، قم، ١٤١١ه، ص١١١ -١١٢.

المبحث الثالث:
معاني التسامح وألفاظه في القرآن الكريم:

قلنا ان القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد وموعظة، فقد أراد للإنسان العيش والحياة الهانئة المطمئنة، وحثهُ كذلك على السمو والارتقاء، واراد له أن يعيش حياة خالية من النكد، فمن جملة ما طرحهُ القرآن الكريم (التسامح) الذي يعني التجاوز والابتعاد عن كافة أشكال العنف وقتل النفس تحت أي ذريعة، وأن قاتل النفس المحترمة لا يشم رائحة الجنة أبداً.

جعل الله سبحانه وتعالى السماحة أساساً من أسس هذا الدين الحنيف، فقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [سورة النساء: ١٢٥]..

القرآن الكريم وإن لم يكن قد ذكر عبارة (التسامح) نصاً، إلا ان هناك آيات كثيرة أشارت بالمضمون الى ذلك، مثل (العفو –التجاوز –الهجر الجميل... الخ)، فأن كل هذه المعاني وسواها تدل دلالة واضحة على التسامح والسير على مبدأ العفو والصفح والترغيب وأخذ المحبة والتآخي، والشعور بالانتماء للمجتمع من أهم دعائم المجتمع، والتي تحافظ عل استقراره ونموه وهو يشير إلى مدى شعور أفراد المجتمع بالانتماء إلى مجتمعهم، وعدم إشاعة النعرات الجاهلية التي لا ماتفضي إلا الى الاقتتال والاحتراب، وزرع الفتنة وإشاعة ثقافة الموت في المجتمع.

بما ان الكلمات والمعاني الدالة على التسامح في القرآن الكريم كثيرة، فيمكن ان نورد بعض هذه المعاني وشواهدها في آيات القرآن ألكريم:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[سورة البقرة: ٦٢].

فالآية، كما هو واضح قد اشترطت الإيمان، سواء من اليهود والنصارى أو سواهم، أي امنوا بالله عز وجل،

إذ انه سبحانه هو الذي يجازي العبد، يوم الجزاء، أو اليوم الآخر، وأنت يا رسول الله، لا عليك إلا البلاغ، يعني أن تبلغ رسالتك إلى الناس كافة، وان الله سبحانه هو الذي يتكفل بعد ذلك الأمر وهذا هو قمة التسامح، وعدم الحث على العنف واستعمال القوة والسيف في تبليغ الرسالة، في دعوة الناس إلى دخول الإسلام، وهذا دليل ما بعده دليل وحجة بالغة على من يدعي بأن الإسلام قام بالسيف.

وأما قوله تعالى: ﴿... وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ..﴾ [سورة البقرة: ٨٣]، فقد قال الطباطبائي[٢٢]: ((والمعنى قولوا للناس قولاً حسناً، وهو كناية عن حسن المعاشرة مع الناس، كافرهم، ومؤمنهم..))، أي قول الرفق واللين والمداراة والتجاوز، وعدم قول الكلام الذي يثير استعمال العنف والقوة، ويدعو إلى الاقتتال ونشر الفتنة وإشاعة الفوضى بين صفوف الناس عامة مؤمنهم وكافرهم وينتهوا من عدم التعرض للمسلمين بأذى والاقتتال، أو اعتراض في شأن من الشؤون.

وان التسامح والسماح مهمان في المحبة والتعايش السلمي بين الشعوب والأمم، في إعمار الأرض ومن عليها، وبالتالي يؤديان إلى الانتماء الذي هو من الحاجات المهمة التي تُشعِر الفرد بأنه جزء من جماعة معينة، سواء كانت هذه الجماعة الأسرة -الرفاق- جماعة مهنية، وأنه جزء من وطن معين، ويُولَد هذا الشعور الاعتزاز والفخر بانتماء الفرد لهذه الجماعة وشعوره بالرضا والارتياح، وان عدم التسامح مما لاشك فيه بأنه يفضي إلى الحروب، وقتل الأخ أخاه في الإنسانية ان لم يكن أخاه في الدين أو المذهب، أو اعتناق فكر معين، فإن الإنسان مخير بالانتماء إلى الفكر الذي يميل إليه أو الذي يجده مطابقاً مع ميوله وأهوائه.

(٢٢) الطباطبائي، محمد حسين، ت (١٤١٢هـ)، تفسير الميزان، مطبعة بهمن، قم، ب. ت، ١/ ٢١٩.

وفي نفي الإكراه الذي يفضي إلى النفور وعدم الإذعان الى الحق، وارتقاء سبيله، قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ ... ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦]. .

وهذا المبدأ من أعظم المبادئ الواضحة التي دلت، بشكل جلي و واضح، على التسامح ونبذ العنف، وعدم استعمال القوة مع الآخر، في إجباره على اعتناق الإسلام، أو إيمانه بفكرة من الأفكار، أو قضية من القضايا العقائدية أو الفلسفية.

قال الطباطبائي[٢٣]: ((لا إكراه في الدين، نفي الدين الإجباري، لما إن الدين وهو سلسلة من المعارف العلمية التي تتبعها أخرى عملية يجمعها إنها اعتقادات، والاعتقاد والإيمان من الأمور القلبية التي لا يحكم فيها الإكراه والإجبار، فإن الإكراه إنما يؤثر في الأعمال الظاهرية والحركات البدنية المادية، وأما الاعتقاد القلبي فله علل وأسباب أخرى قلبية من سنخ الاعتقاد والإدراك، ومن المحال ان ينتج الجهل علماً، أو تولد المقدمات الغير علمية تصديقاً علمياً...)).

ومن معاني التسامح أيضا: (العفو)، وهو تجاوز المعتدى عليه عن ذنب المعتدي وترك عقابه عن الذنب الذي اقترفه، وبالتأكيد إن الذي يترك العقاب هو القادر عليه[٢٤]، ففي قوله تعالى: ﴿ إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ﴾[سورة النساء ١٤٩].

ففي هذه الآية دلالة واضحة على التسامح والعفو، إذ يقول العيني والمحقق الاردبيلي[٢٥]: ((إن تبدوا،

(٢٣) الطباطبائي، تفسير الميزان، ٢/ ٣٤٢.

(٢٤) الفراهيدي، العين، ٢/ ٢٥٨؛ ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق، ت (٢٤٤هـ)، ترتيب إصلاح المنطق، ط١، تح: محمد حسين بكائي، مؤسسة الطبع والنشر، مشهد، ١٤١٢هـ، ص٢٥٦؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٤/ ٥٦.

(٢٥) العيني، (ت ٨٥٥هـ)، عمدة القاري،د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ب.ت، ١٢/ ٢٩١، الاردبيلي،

أي تظهروا خيراً، أي حسناً جميلاً من القول والفعل بالنسبة إلى من أحسن إليكم بل اعم، أو تخفوه، أي تفعلوا ذلك سراً وخفية، أو تعفوا عن سوء، أي تصفحوا عمن أساء إليكم مع القدرة على الانتقام، ولاتجهروا لهُ بالقول بالسوء، ولا بأدنى من ذلك وأقوى، فأنتم محتاجون إلى العفو فينبغي أن تفعلوا ذلك بالطريق الأولى، لأنكم إن عفوتم عفيتم، وإن رحمتم رحمتم، وهو ظاهر عقلاً وشرعاً)).

ومن الآيات البينات التي تدل على التسامح:

١. قوله تعالى: ﴿ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة النور: ٢٢].

٢. قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[سورة الشورى: ٢٥].

٣. قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۗ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ [سورة المائدة: ١٥].

٤. قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾[سورة الحج: ٦٠].

إن العدل بالاقتصاص من الظالم شرع الله، ولكن الله سبحانه وتعالى يمدح نفسه بالعفو والمغفرة.

وأيضاً من المعاني الدالة على التسامح هي (الصفح)، فإن الصفح يكون ابلغ من العفو، وقد يعفو الإنسان ولا يصفح، وقيل: صفحت عنهُ: أي عفوت عنهُ[٢٦].

احمد بن محمد (ت ٩٩٣ هـ)، زبدة البيان في احكام القرآن، د.ط، تح: محمد باقر البهبودي، المكتبة المرتضوية، طهران، ص٣٤١.

(٢٦) الفراهيدي، العين، ٣/ ١٢٢؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ١/ ٢٣٤؛

وقال الزبيدي[٢٧]: ((الصفح ترك التأنيب، وهو ابلغ من العفو))، فإن العفو ترك المأخوذة بالذنب، والصفح ترك أثره من النفس[٢٨].

ومن الآيات التي تدعو إلى التحلي بهذه الصفة عديدة منها:

١. قال تعالى: ﴿ مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [سورة البقرة: ١٠٩].

٢. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [سورة المائدة: ١٣].

٣. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [سورة التغابن: ١٤].

وأيضاً من صور التسامح في القرآن الكريم هي (المغفرة)، فهناك فرق بين الغفران والستر، ولكن اصل المغفرة التغطية والستر، إذ إن الغفران أخص وهو يقتضي إيجاب الثواب، والستر سترك الشيء بستر ثم استعمل في الإضراب عن ذكر الشيء فيقال: ستر فلان على فلان إذا لم يذكر ما اطلع عليه من عثراته، وستر الله عليه خلاف فضحه، ولا يقال لمن يستر عليه في الدنيا إنه غفر لهُ، لأن الغفران ينبئ عن استحقاق الثواب، فإن الغفران يقتضي إسقاط العقاب، وإسقاط العقاب هو إيجاب الثواب[٢٩].

ويقول ابن منظور[٣٠]: ((الغفور الغفار، جل ثناؤه، ومعناها الساتر لذنوب عباده المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم، يقال: اللهم اغفر لنا مغفرة وغفراً وغفراناً إنك أنت الغفور الغفار

الزبيدي، محب الدين أبي الفيض، ت (١٢٠٥هـ)، تاج العروس، د. ط، تح: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م، ٤/ ١٢١.

(٢٧) الزبيدي، تاج العروس، ١٩/ ٦٨٦.

(٢٨) المصدر نفسه، ١٩/ ١٨٧.

(٢٩) أبو هلال العسكري، ت (٣٩٥هـ)، الفروق اللغوية، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٢هـ، ص١٨٧.

(٣٠) ابن منظور، لسان العرب/ ٥/ ٢٥.

يا أهل المغفرة، واصل المغفرة التغطية والستر، غفر الله ذنوبه أي سترها)).

وبما ان المغفرة هي الستر وعدم كشف الذنوب، فهذا الأمر يمثل أرفع أخلاق التسامح، أما إذا عكس ذلك من الكشف عن عورات الناس فإن ذلك يسبب نفور الناس من صاحب العورة، وهذا الأمر لهُ اثر نفسي كبير كما تعلمون.

وقد وردت آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن المغفرة فهي كثيرة منها:

١. قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[سورة النساء: ١١٨].

٢. قوله تعالى: ﴿ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [سورة النساء: ٢٣].

٣. قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[سورة الأنفال: ٣٨].

٤. قوله تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[سورة البقرة: ٢٨٤].

٥. قوله تعالى: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[سورة الشورى: ٥].

٦. قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [سورة غافر: ٧].

٧. قوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٥].

وإذا كانت الآيات الكريمة تجعل

المغفرة خاصة بالله سبحانه وتعالى، فهو المطلع على جميع الذنوب لا تخفى عليه خافية، وهو الذي يسترها في الدنيا والآخرة.

هذه معاني قرآنية محكّمة من قطعيات الدين على إن التسامح لغة إسلامية أصيلة، ومعنى أخلاقي شرّعه الإسلام، فهو أساس التعامل الذي يفترض أن يحكم.

وهو أساس التعامل الذي يفترض أن يحكم علاقة الناس بعضهم ببعض، أما الإصرار على رفض التسامح فهو إصرار على إلحاق الأذى بالنفس قبل الآخرين، وهو إصرار على المعاناة الشخصية في مواجهة قلب يموج بذكريات مؤلمة عن الآخرين.

المبحث الرابع: أنواع التسامح:

إن الهدف الأساس من التسامح هو التعايش السلمي بين جميع الناس من دون تمييز، والحيلولة دون أن تشيع الشحناء والبغضاء، وبالتسامح تشيع المحبة والمودة والانتماء فيما بين أفراد المجتمع، فعلى الرغم من وجود الاختلافات بين الناس من حيث الأصول العرقية والدينية والفكرية، إلا إننا كمسلمين نعمل بموجب القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يجب علينا أن لا نتمايز فيما بيننا، ونعيش بأمن وسلام متحابين مسالمين، ومن هذا يمكن أن نتكلم عن هذا الموضوع بشيء من التفصيل، فيمكن أن يُقسم التسامح على أنواع أهما: -

١. التسامح العرقي:

الكل يعرف ان مجتمعنا اليوم يعيش ببيئة تمتاز بالاختلاف العرقي بين بعض أفراد مجتمعنا والمجتمعات الأخرى، هذا الأمر وفق العقل والمنطق أمر طبيعي، ففي قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴾[سورة الروم: ٢٢].

لكن ورغم ذلك يجب ان يكون التوافق والتسامح هو الأساس، لأن هذا الأمر فرضهُ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ودليل كلامنا هذا هو ان الدين الحنيف جعل الناس سواسية،

والشعور بالانتماء إلى جماعة تتقبله ويتقبلها فيشعر بالأمن والطمأنينة.

ويمكن تغيير سلوك الفرد عن طريق التسامح والتمسك بالجماعة، فكل جماعة لها معاييرها وقيمها التي يتحتم على الفرد المنتمي إليها اكتسابها، ويتمكن الفرد عن طريق انتمائه للجماعة من اكتساب الميراث الثقافي الذي يمكْنهُ من التفاعل ايجابياً مع أفراد مجتمعه، وتساعد الجماعة الفرد على ممارسة أنواع من النشاط، يستغل فيه قدراته ويكتشف قدرات أخرى، لا فضل لأحد منهم على احد إلا بالتقوى، فهي المعيار الوحيد الذي يمكن خلاله تمييز بين الناس.

ان الله سبحانه وتعالى جعل المؤمنين أخوة متحابين، ونهاهم عن التفرقة والاختلاف، فقال عز وجل: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [سورة الحجرات: ١٠].

وقال الرسول الكريمﷺ: ((لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا عباد الله إخواناً ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام))[٣١]، وقالﷺ: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))[٣٢].

فالمؤمن يُسر ما يسر أخاه، ويحزن ما يحزنه، ويريد لأخيه ما يريد لنفسه من الخير، وهذا إنما يأتي مع سلامة الإنسان من الغش والغل والحسد.

ومن صفات الإنسان المؤمن التسامح على الرغم من اختلاف في الأصول العرقية، والدعاء لإخوانه بالمغفرة، وهذا ما أكده القرآن الكريم،

(٣١) مسلم النيسابوري، أبي الحسن بن الحجاج، ت (٢٦١هـ)، صحيح مسلم، د. ط، دار الفكر، بيروت، ٨/ ٩؛ الشهيد الأول، محمد بن مكي، ت (٧٨٦هـ)، القواعد والفوائد، د. ط، تح: عبد العباس الحكيم، مكتبة المفيد، قم، ب. ت، ٢/ ١٦٠؛ العظيم أبادي، محمد شمس الحق، ت (١٣٢٩هـ)، عون المعبود، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ، ١٣/ ١٧٤.

(٣٢) النووي، محي الدين، ت (٦٧٦هـ)، المجموع، د. ط، دار الفكر، بيروت، ب. ت، ٩/ ١٥٣؛ الشربيني، محمد بن احمد، ت (٩٧٧هـ)، مغني المحتاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٨م، ٤/ ٢٢٣.

ففي قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا .. وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة الحشر: ١٠].

٢. التسامح الفكري:

هذا النوع من التسامح يتجسد في نشر أفكار الإنسان ومبادئه، فلا يحل القوة والتعصب والغضب محل التفاهم والتناظر وتبادل الأفكار، وأيضاً يجب أن لا يستعمل طرف على حساب طرف آخر القوة والضغط وسيلة لبسط سيطرته ونفوذه، وإيهام الناس ان الحق معه، بل العكس من ذلك فيجب أن يكون الحوار وتبادل الأفكار والآراء قائمة على أساس الرفق واللين وإثبات الفكرة وفق الأدلة والبراهين.

إذ يقول الله عز وجل: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [سورة النحل: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴾ [سورة النحل: ١٢٧].

فهي دعوة لكل الناس بالحكمة الصحيحة وهي البرهان الموضح للحق، والمزيل للشبهة، والصرف عن القبيح على وجه الترغيب في تركه والترهيب في فعله، وفي ذلك تليين القلب بما يوجب الخشوع، وتقدير الكلمة التي هي أحسن بالموعظة الحسنة التي تنفعهم، والرفق والوقار والسكينة، والتناصح بالحكمة من غير فظاظة ولا تعسف، وقوله تعالى: ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾ [سورة طه: ٤٤].

ويفهم من هذا كمال المبالغة في استعمال حسن الخلق وعدم الغلظة والغضب، واستعمال الملاينة وعدم الخشونة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولو كان الفاعل كافراً.

٣. علاقة المسلمين بغيرهم:

الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم هو السلم، وقد أمرنا الله تعالى بالقسط

معهم وعدم الظلم، ولم ينهنا عن برهم والإحسان إليهم، وفي ذلك حضٌ على التعايش والإنسجام في ظل الدائرة الإنسانية الواسعة، قال الله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [سورة الممتحنة: ٧ - ٩].

وهنا يحق لنا أن نتساءل: ما الذي سيحدث لو تبنى كافة الناس خيار اللاعنف كسلاح من أسلحة المواجهة؟. وللإجابة دعونا نعود قليلاً مع السيرة النبوية ولكوننا متخصصين فيها، نرى أن الرسول ﷺ وباستخدامه لسلاح اللاّعنف، أصبح الكفار إلى حد ما مكتوفي الأيدي أمامه، وكانت النتيجة كسب المسلمين المعركة بأقل الخسائر وبأقصر الطرق، وفي مكة لم يستخدم رسول الله ﷺ السلاح حتى للرد على اعتداءات قريش، ولكن بعد أن تغيّر واقع المسلمين وكونوا دولة ذات سيادة في المدينة المنورة غيّروا هذا النهج واستخدموا السلاح، ولماذا كان هذا الاستخدام؟ بالتأكيد لرّد الاعتداء فقط، فهكذا كانت الانطلاقة الإسلامية التي بدأها الرسول الأكرم ﷺ، وهكذا ينبغي أن تستمر.

فالإسلام دين السلام، ولذا يقول الله تعالى في القرآن الحكيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٨]، وليست الحرب والمقاطعة وأساليب العنف إلا وسائل اضطرارية شاذة، على خلاف الأصول الأولية الإسلامية، حالها حال الاضطرار لأكل الميتة وما أشبه، وإنما الأصل السلام ولذا تقدر الحرب بقدرها في الإسلام، ومع ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿...فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ..﴾ [سورة البقرة:

١٩٤]. ثم في مكان آخر يقول عز وجل: ﴿.. وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[سورة البقرة: ٢٣٧]، وهذا النجاح الكبير لنبي الإسلام والأئمة إنما هو لأسباب من جملتها السلام الذي كانوا يتحلون به في كل شؤونهم.

الخاتمة

بالعقل يتميز الإنسان عن الحيوان. وللإنسان آمال ورغبات تنتظم عن طريق العقل وينبغي أن يوجهها إلى ما يصلح حاله في الدارين، وبهذا ينال الخيرات. ولكن إذا كان العقل تابعا للآمال والرغبات انقلب الإنسان رأساً على عقب واختلفت الأفكار والآراء والمفاهيم لديه. وقد أخبرنا الله تعالى عن هذه الحقائق بقوله: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[سورة الفرقان: ٤٣ – ٤٤].

والمسلم ينظم الأمور بعقله، ويكون هدفه الأساسي هو إمتثال أوامر الله تعالى، وهذا أهم ما يميز المسلم عن غيره، أما الكافر فيستحب السعي لتحقيق آماله ورغباته ويهمل أوامر الله تعالى.

في الكثير من الأحيان قد نسمع عن هذه المفردة، أعني التسامح، فيحرّم الإسلام الغدر والاغتيال والإرعاب وكل ما يسمى اليوم بالعنف والإرهاب، فإنه لا عنف في الإسلام، ولا يجوز أي نوع من أعمال العنف والإرهاب الذي يوجب إيذاء الناس وإرعابهم، والغدر بهم وبحياتهم، أو يؤدي إلى تشويه سمعة الإسلام والمسلمين، ففي كل المواطن التي يشرح لنا القرآن الكريم الخصام والنزاع بين رسل الله وبين أقوامهم، يبين لنا أن سبب العدوان الذي لحق بالأنبياء لم يكن إلا لأنهم يقولون ربنا الله، ولم يكن لأنهم قاموا بضرب أو قتل أو اغتيال.

إن العنف ليس أسلوباً وظيفياً تلجأ إليه على مقتضى الجبر والاضطرار، بل هو من صميم عقيدتها السياسية، واختيار يرقى إلى مستوى الفريضة.

ولقد ألصق هذا الأسلوب بالإسلام وبالحركة الإسلامية تهمة (الإرهاب)، وأحيا التهم القديمة عن انتشار الإسلام بالسيف، وعجز المسلمين وتخلفهم في بناء العلاقات وتكوين القناعات بـ(الحوار)، في الوقت الذي ترسخت على مستوى عالمي فكرة التغيير بالحوار وبالتراضي وبالأساليب الديمقراطية، والإسلام بريء من التهمتين، فهو يحرِّم الإرهاب، وهو يحمل أعظم وأوسع دعوة للحوار عرفها تاريخ البشرية.

فاللاعنف إذاً، ليس وليد الضعف في الذات، أو القوة الضخمة لدى الآخر، وإنما هو جزء من بنية المنظومة العقدية والفكرية الإسلامية، التي ترى في اللاعنف الطريق السليم في التعامل مع المغاير الثقافي أو السياسي.

لنا توصيات نعتبرها من ثمار التسامح والانتماء، فلكي نعيش هاتين المفردتين الجميلتين في حياتنا، نحتاج إلى ممارستهما عملياً طوال الأوقات، في البيت، في المدرسة، في المتجر، في المصنع،... إلخ، وان الانتماء الاجتماعي للموطن مرهون بالإشباعات المادية والمعنوية لأفراده، وأنها الأطر التي يستقي منها في التنشئة الاجتماعية بما فيها من لغة، وفكرة، وفن الثقافة، وليجعل كل شخصٍ منا من نفسه قدوة في التسامح واللاعنف، مع زوجته، مع أولاده، مع أصدقائه، مع معارفه، مع جيرانه، مع طلابه، مع محاوريه، مع مجتمعه... الخ.

واتضح أن التنشئة الاجتماعية أكثر دوائر الانتماء أهمية في حياة الشباب الأسرة والأصدقاء، ثم الدين والمؤسسات الدينية (دور العبادة)، ثم الانتماء لزملاء العمل والدراسة، كما اتضح أن الانتماء لمنطقة السكن، والانتماء للمجتمع المحلي (المدينة التي يعيش فيها الشخص)، والمجتمع القومي يحتل درجة أقل من سابقاتها.